﴿المحاضرة - 06 - السادسة﴾

الأدب الجزائري في عهد الدولة الصنهاجية

عناصر الدرس

1- تاريخ الدولة الصنهاجية
2- الصنهاجيون في الجزائر
3- المراكز الثقافية في العهد الصنهاجي
4- الحياة الأدبية في الدولة الصنهاجية
5- أعلام أدبية جزائرية في ظل الدولة الصنهاجية، ومختارات من أدبهم
6- الأدب الجزائري خلال العهد الصنهاجي (خصائصه، تطوره، وأثره)

1- تاريخ الدولة الصنهاجية:

(362-543هـ = 973- 1148م) ولَّى المعز لدين الله بلكين بن زيري (362-373هـ) إمارة إفريقية والمغرب ما عدا صقلية أواخر سنة361 هـ، اعترافًا بجميل قبيلته صنهاجة، فاختط بلكين عدة مدن منها الجزائر، وأخمد الحركات المناوئة، وتعاقب على الإمارة أبناؤه وأحفاده من بعده متمسكين بالولاء للخلافة الفاطمية بالقاهرة، ومن أشهرهم باديس بن المنصور (386-406هـ)، الذي انفصل عنه عمه حماد سنة 405هـ، 1014م وأسس دولة مستقلة، قاعدتها قلعة بني حماد بالمغرب الأوسط. وكذلك المعز بن باديس (406- 453هـ)، الذي ساد الأمن في أيامه، فازدهرت البلاد وظهرت بها حركة أدبية وفكرية راقية من أعلامها الطبيب ابن الجزار والأديب الشاعر ابن رشيق .

وفي سنة 435هـ، 1043م، قام أهالي القيروان بانتفاضة ضد الدولة الفاطمية، فاضطر ابن باديس لمجاراة الرأي العام فخلع طاعة الفاطميين وجعل الخطبة للخلافة العباسية سنة 439هـ، 1047م فوجه إليه المستنصر الفاطمي أعراب بني هلال وبني سليم، فغلبوه وسلَّم لهم القيروان، وانتقل إلى المهدية حيث توفي. وخلفه ابنه تميم (453-501هـ (على ما بقي بيده وهو جزء يسير من ساحل إفريقية. أما بقية الإمارة فقد انقسمت، واستولى النورمان على صقلية سنة 484هـ، 1091م، وعلى المهدية سنة 543هـ، 1148م، فغادرها آخر الأمراء الصنهاجيين الحسن بن علي (515-543هـ) إلى المغرب الأقصى مستنجدًا بعبد المؤمن بن علي.[1]

2- الصنهاجيون في الجزائر:

وأما "صنهاجة في الجزائر فهم أهل مدر من مدنهم أشير ولمدية وملیانة ومتيجة والجزائر"[2]. ولم يقتصر احتكاك الجزائريين بالدولة الصنهاجية عن طريق توسعها في المغرب الأوسط، بل كانت هناك هجرة لبعض الأعلام الجزائريين إلى عاصمة الصنهاجيين القيروان. وقد كان يعيش في حاضرة الصنهاجيين عدد كبير من الأدباء قدر لهم أن يقيموا بها أو يكونوا على اتصال مستمر بها، نازحين من المراكز التي حولها ليستقروا في بلاد المعز. ومن هؤلاء الأدباء الجزائريين عبد الكريم النهشلي أستاذ ابن رشيق وكاتب المعز بن باديس فقد كان شاعرا وناقد فذا، اشتهر بكتاب الممتع في علم الشعر وعروضه؛ وأبو

علي حسن بن رشيق المسيلي المعروف بالقيرواني الذي كان من أشهر شعراء ونقاد عصره، وله تآليف كثيرة في النقد أشهرها: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، وقراضة الذهب في نقد أشعار العرب، وأنموذج الزمان في شعراء القيروان[1].

3- المراكز الثقافية في العهد الصنهاجي:

ساعد الحركة الفكرية والثقافية على الازدهار انتشار المكتبات الخاصة والعامة، والمساجد، والكتاتيب، وانتشار التعليم، وإقبال أمراء صنهاجة على العلم والأدباء وأخذهم بأيدي أهله وخاصته. وفي مطلع القرن الخامس الهجري نزح علماء وأدباء وتقربوا منهم، وأجزلوا عليهم بالعطايا، وفي هذا العهد لم تكن المراكز الحضارية وخاصة القيروان معزولة عن المشرق، بل كانت على اتصال به مما أَهَّلَها لأن تكون رابطة طبيعية بين المشرق الإسلامي ومغربه نظرا لموقعها الجغرافي الممتاز، فيمر عليها الجميع ويقصدها من طلاب علم وعلماء "وكانت القيروان هذه في قديم الزمان منذ الفتح إلى أن خربها الأعراب دار العلم، إليها ينسب أكبر علمائه وإليها كانت رحلة أهله في طلب العلم"[2].

وإلى جانب هذا المركز المحوري مراكز أخرى سمت بعصر صنهاجة وساهم في تطورها الفكري من أمثال المهدية التي كان بها بلاط فاخر، التفت حوله مجموعة من العلماء والأدباء والشعراء . ومدينة صبرة التي كان بها ديوان الرسائل، وهو يحتوي على أكثر من مائة كاتب؛ كابن رشيق واين شرف ويرأسهم أبو الحسن علي بن أبي الرجال[3].

وفي المغربين الأوسط والأقصى قل مثل ذلك؛ ففي المغرب الأوسط كانت المسيلة وقلعة بني حماد وتيهرت والزاب وتلمسان. وفي المغرب الأقصى كانت فاس ومراكش وغيرها.. وفي محيط هذه المراكز النشطة فكريا وثقافيا انكب العلماء على تأليف الكتب، فظهرت أصناف شتى من المؤلفات تعالج موضوعات مختلفة في المعارف الفقهية والعلمية واللغوية والتاريخية والأدبية.

4- الحياة الأدبية في الدولة الصنهاجية:

كان للحركة الفكرية في عهد الدولة الصنهاجية أربعة مسارب، منها القوي المتسع، ومنها الضيق الضعيف، وهي مجتمعة تؤدي إلى نهر واسع نشط، يزخر بالحيوية الثقافية الدافقة. الأول منها مسرب الحديث والفقه، والثاني مسرق اللغة والنحو، والثالث مسرب الشعر والأدب، والربع مسرب العلم الفلسفي وعلم الطب[4].

يرى الدارسون للحياة الأدبية في المغرب الإسلامي أن النشاط الأدبي في القيروان الأولى كان ضئيلا والسبب هو انصراف رجال الفكر إلى علوم الشريعة إحساسا بأن البيئة المغربية ما زالت في حاجة إلى نشر تعاليم الإسلام وتنظيم الحياة وفق المبادئ الجديدة على السكان، ففي العهد الفاطمي اتسعت الحركة الأدبية وعرفت تقدما، وأخذت تثمر وتنضج في

العهد الصنهاجي، وفي محيطه ازدهر الشعر أكثر مما كان عليه، وتنوعت موضوعاته من مدح وفخر ووصف وغزل ورثاء وخمريات[1].

لقد تعرب الصنهاجيون بسرعة، ولم يشر أحد من الدارسين لاستعمالهم اللغة البربرية إلا الشماخي، وكانت لغزوة بني هلال التي أحدثت فسادا كبيرا في بلاد المغرب الأثر الواسع في عملية التعريب، لاحتكاكهم بالبربر أهل الديار.

إن العصر الصنهاجي عصر النضج الأدبي وربما يعود الفضل إلى أمراء الدولة الذين عملوا على بعث الحركة الفكرية والثقافية في كل نواحي البلاد، فقد كان المعز بن باديس محبا لأهل العلم كثير العطاء، مدحه الشعراء، وقصده الأدباء، واجتمع في بلاطه أكثر من مائة شاعر وأديب[2]. وكان من رجال حكمه الأدباء والشعراء والعلماء من أمثال ابن أبي الرجال رئيس ديوان الإنشاء في الدولة الذي نعرف حياته الأدبية من خلال كتاب العمدة لابن رشيق.ا "فلو أن أعرابيا تذكر نجدا فحنّ به إلى الوطن أو تشوق فيه إلى بعض السكن ما حسبته يزيد على ما أتى به هذا المولد الحضري المتأخر العصر"[3].

ومهما يكن من أمر فإن الفترة الصنهاجية مثلت عصر الازدهار والنضج، وبلغت البلاد فيها قمة مجدها، وراجت الحياة الفكرية والثقافية رواجا كبيرا، وتطور الشعر والنثر، وربما يعود ذلك إلى إقبال حكامها على العلم والأدب رغبة منهم في نشر المعرف تقديرا لأصحابها "وكان المعز بن باديس وقد حكم أكثر من أربعين سنة لا يسمع بعالم جليل أو شاعر عظيم إلا أحضره إلى حضرته وجعله من خاصته"[4].

5- أعلام أدبية جزائرية في ظل الدولة الصنهاجية، ومختارات من أدبهم:

- **عبد الكريم النهشلي المسيلي (390 - 463 هـ = 1000 - 1071 م)**[5] هو عبد الكريم بن إبراهيم النهشلي، ولد ونشأ بالمحمدية، وبها تلقى مبادئ العلوم العربية، ثم انتقل إلى القيروان لإتمام معلوماته، فنبغ في جميع العلوم وخصوصا في الأدب والنقد، فاتخذه تميم بن المعز بن باديس كاتبا له، وكان من قبل من ندماء والده المعز، وهو من شيوخ ابن رشيق، الذين كان يأخذ برأيهم في غالب الأوقات، وذلك لما كان له من التأثير الأدبي والنقدي.

إن عبد الكريم النهشلي كان شاعرا قويا، وناقدا بصيرا بأساليب النقد ومناهجه، وهو الذي هيأ لابن رشيق وغيره السبيل للمضي فيه. ومن جملة تصانيفه: الممتع في علم الشعر وعمله، ومجمل القول كان النهشلي من رجال الادب، ومن الثقافة الواسعة في اللغة والبيان والأوزان، وكان بارعا في صناعة الكتابة والشعر، ومتفوقا في النقد.

<u>قال عبد الكريم النهشلي</u>:

- (أثر البيئة في الشعر)[1]: قد تختلف المقامات والأزمنة والبلاد فيحسن في وقت مالا يحسن في آخر، ويستحسن عند أهل بلد مالا يستحسن عند أهل غيره، ونجد الشعراء الحذاق تقابل كل زمان بما استجيد فيه وكثر استعماله عند أهله، بعد أن لا تخرج من حسن الاستواء، وحد الاعتدال، وجودة الصنعة، وربما استعملت في بلد ألفاظ لا تستعمل كثيراً في غيره: كاستعمال أهل البصرة بعض كلام أهل فارس في أشعارهم، ونوادر حكاياتهم، قال: والذي أختاره أنا التجويد والتحسين الذي يختاره علماء الناس بالشعر، ويبقى غابره على الدهر، ويبعد عن الوحشي المستكره، ويرتفع عن المولد المنتحل، ويتضمن المثل السائر، والتشبيه المصيب، والاستعارة الحسنة.

- (وصف دار البحر بالمنصورية ومدح المعز بن باديس)[2]

يا ربّ فتيان صدق رحت بينهم ... والشمس كالدّنف المعشوق في الأفق
مرضى أصائلها حسرى شمائلها ... تروّح الغصن الممطور في الورق
معاطيا شمس إبريق إذا مزجت ... تقلّدت عقد مرجان من النّزق
عن ماحل طافح بالماء معتلج ... كأنما نفسه صيغت من الحدق
تضمّه الرّيح أحيانا، وتفرقه ... فالماء ما بين محبوس ومنطلق
من أخضر ناضر والطّلّ يلحقه ... وأبيض تحت قيظيّ الضحى يقق
تهزّه الريح أحيانا فيمنحها ... للزّجر خفق فؤاد العاشق القلق
كأنّ خافاته نطّقن من زبد ... مناطقا رصّعت من لؤلؤ نسق
كأن قبّته من سندس نمط ... حسناء مجلوّة اللبّات والعنق
إذا تبلّج فجر فوق زرقته ... حسبته فرسا دهماء في بلق
أو لازوردا جرى في متنه ذهب ... فلاح في شارق من مائه شرق
عشية كملت حسنا وساعدها ... ليل يمدّد أطنابا على الأفق
تجلى بغرّة وضّاح الجبين له ... ما شئت من كرم واف ومن خلق

- **ابن رَشِيق المسيلي (385 - 463 هـ = 995 - 1071 م)3:** الحسن بن رشيق، ابو علي: الشهير (بالقيرواني لطول مكوثه بمدينة القيروان في خدمة ملوكها) بالقيرواني لطول مكوثه بمدينة القيروان في خدمة ملوكها، أديب من كبار الأدباء، باحث، شاعر، مؤرخ، نقاد ولد بالمسيلة "المحمدية" وتعلم صناعة الصياغة على والده، ثم مال إلى علوم الأدب والتاريخ فأخذها عن علماء بلده. رحل إلى القيروان سنة 406 فلقي بها كبار العلماء والادباء كعبد الكريم النهشلي ومحمد بن جعفر القزاز وغيرهما، فلازمهم وأخذ عنهم، ومدح أميرها المعز فقربه اليه واستكتبه فذاع صيته في القيروان وخارجها. ولم يزل بالمدينة إلى ان كانت الحملة الهلالية فانتقل إلى جزيرة صقلية وأقام "بمازره" إلى ان مات بها. وقد أثر ابن أبي الرجال في حياة ابن رشيق في نواح عدة من ثقافته كما أثر فيه شيوخ آخرون كالحصري والقزاز والخشني[4].

قال الحسن بن رشيق القيرواني: (في رثاء القيروان ووصف ما أصابها من خراب الأعراب)[1]

كم كان فيها من كرام سادة ... بيض الوجوه شوامخ الإيمانِ
متعاونين على الديانة والتقى ... لله في الإسرار والإعلانِ
ومهذبٍ جمّ الفضائلِ باذلٍ ... لنواله؛ ولعرضه صوّانِ
وأئمة جمعوا العلوم وهذبوا ... سنن الحديث ومشكل القرآنِ
عُلماء إن سألتهم كشفوا العمى ... بفقاهة وفصاحة وبيانِ
وإذا الأمورُ استبهمت واستغلقت ... أبوابها وتنازع الخصمانِ
حلّوا غوامض كل أمر مشكل ... بدليل حقّ واضح البرهانِ
هجروا المضاجع قانتين لربهم ... طلباً لخير معرس ومعانِ
وإذا دجا الليلُ رأيتهم ... متبتلين تبتلَ الرهبانِ
في جنة الفردوس أكرم منزل ... بين الحسانِ الحور والغلمانِ
تجروا بها الفردوس من أرباحهم ... نعم التجارةُ، طاعةُ الرحمنِ
المتقين اللهَ حقه تُقَاته ... والعارفين مكايد الشيطانِ
وترى جبابرة الملوك لديهمُ ... خُضعَ الرقاب نواكسَ الأذقانِ
لا يستطيعون الكلامَ مهابةً ... إلاّ إشارة أعين وبنانِ
خافوا الإله فخافهم كلُّ الورى ... حتى ضراءُ الأسد في الغيرانِ
تنسيك هيبتُهم شماخة كل ذي ... ملكٍ وهيبةَ كل ذي سلطانِ
أحلامهم تزن الجبالَ وفضلهم ... كالشمس لا تخفى بكلّ مكانِ
كانت تعد القيروانُ بهم إذا ... عُدّ المنابر زهرةَ البلدانِ
وزهت على مصرٍ وحُقَّ لها كما ... تزهو بهم زغدت على بغدانِ
حسنت فلما إذ تكامل حسنها ... وسما إليها كل طرف رانِ
وتجمعت فيها الفضائل كلّها ... وغدت محل المن وافيمانِ
نظرت لها الأيام نظرة كاشحِ ... ترنو بنظرة كاشح معيانِ
حتّى إذا الأقدار حُمَّ وقوعها ... ودنا القضاءُ لمدة وأوانِ
أهدت لها فتنا كليل مظلم ... وأرادها كالناطح العيدانِ
بمصائب من فادع وأشائب ... ممن تجمع من بني دهمانِ
فتكوا بأمة أحمد، أتراهُم ... أمنوا عقاب الله في رمضانِ
نقضوا العهود المبرمات وأخفروا ... ذِمَمَ الإله ولم يفوا بضمان
فاستحسنوا غدر الجوار وآثروا ... سبيَ الحريم وكشفة النسوان
ساموهم سوء العذاب وأظهروا ... متعسفين كوامن الأضغان
والمسلمون مقسمون تنالهم ... أيدي العصاة بذلّة وهوان
ما بين مصطرع وبين معذب ... ومقتل ظلماً وآخر عانِ
يستصرخون فلا يغاث صريخهم ... حتّى إذا سئموا من الإرنانِ

بـــــادوا نفوســـــهم فلمـــــا أنفـــــذوا ... مـــا جمعـــوا مـــن صـــامت وصـــوان
واستخلصـــوا مـــن جـــوهر وملابـــس ... وطرائـــــــف وذخـــــــائر وأوانِ
خرجـــوا حفـــاةً عائـــدين بـــربهم ... مـــن خـــوفهم ومصـــائب الألـــوان
هربـــوا بكـــل وليـــدة وفطيمـــة ... وبكـــل أرملـــةٍ وكـــلّ حصـــانِ
وبكـــلّ بِكـــر كالمهـــاة غريـــرة ... تَســـبي العقـــول بطرفهـــا الفتـــانِ
خـــود مبتلـــة الوشـــاح كأنهـــا ... قمـــر يلـــوح علـــى قضـــيب البـــانِ
والمســـجدُ المعمـــورُ جـــامع عقبـــة ... خـــرب المعـــاطن مظلـــم الأركـــانِ
قفـــر فمـــا تغشـــاه – بعـــد- جماعـــة ... لصـــــلاة خمـــــس، لا ولا لأذانِ
بيـــت بـــه عُبـــد الإلـــه وبُطلَـــتْ ... بعـــد الغلـــو عبـــادة الأوثـــانِ
بيـــت بـــوحي الله كـــان بنـــاؤه ... نعـــم البنـــا والمبتَنَـــى والبـــاني
أعظـــم بتلـــك مصـــيبته مـــا تنجلـــي ... حســـراتُها أو ينقضـــي الملـــوانِ
لـــو أن ثهلانـــا أصـــيب بعشـــرها ... لتدكـــدكت منهـــا ذري ثهـــلانِ
حزنـــت لهـــا كُـــوَرُ العـــراق بأســـرها ... وقـــرى الشـــام ومصـــر والخرســـانِ
وتزعزعـــت لمصـــابها وتنكـــدت ... أســـفاً بـــلاد الهنـــد والســـندانِ
وعفـــا مـــن القطـــار بعـــد خلائهـــا ... مـــا بـــين أنـــدلس إلـــى حلـــوانِ
وأرى النجـــوم طلعـــن غيـــر زواهـــر ... فـــي أفقهـــن وأظلـــم القمـــرانِ
وأرى الجبـــال الشـــمَّ أمســـت خشـــعاً ... لمصـــابها وتزعـــزع الـــثقلانِ
والأرض مـــن ولـــهٍ بهـــا قـــد أصـــبحت ... بعـــد القـــرار شـــديدة المـــيلان
أتـــرى الليـــالي بعـــد مـــا صـــنعت بنـــا ... تقضـــي لنـــا بتواصـــل وتـــدان
وتعيـــد أرض القيـــروان كعهـــدها ... فيمـــا مضـــى مـــن ســـالف الأزمـــان
مـــن بعـــد مـــا ســـلبت نضـــائر حســـنها ال ... أيـــام واختلفـــت بهـــا ميتـــان
وغـــدت كـــأن لـــم تغـــن قـــطّ ولـــم تكـــن ... حرمـــاً عزيـــز النصـــر غيـــر مهـــان
أمســـت وقـــد لعـــب الزمـــان بأهلهـــا ... وتقطعـــت بهـــم عـــرا الأقـــران
فتفرقـــوا أيـــدي ســـبا وتشـــتتوا ... بعـــد اجتمـــاعهم علـــى الأوطـــان

• **علي بن أبي الرجال (390 - 463 هـ = 1000 - 1071 م)**[1] هو أبو الحسن علي بن أبي الرجال الشيباني التاهرتي، رئيس ديوان الإنشاء **ببلاط** المعز بن باديس، وهو أستاذ بن رشيق ومعاصره، وقد كان مفتونا به، ومتأثرا به؛ ألف له كتاب العمدة، وأهداه له. ذلك الكتاب الذي قال فيه ابن خلدون: "كتاب العمدة وهو الكتاب الّذي انفرد بهذه الصّناعة وإعطاء حقّها ولم يكتب فيها أحد قبله ولا بعده مثله"[2]. إن ابن أبي الرجال أديب كبير وشاعر عظيم يثني عليه ابن رشيق كثيرا وينعته بواحد الدهر وسيد كتاب العصر ويعتبره ولي نعمته. ومن آثاره: الفارع في أحكام النجوم الذي لا يزال مخطوطا وأرجوزة في الفلك التي طبعت في آخر كتاب كفاية الطالب في الأحكام الفلكية لغزال الموسوي. روى عنه أشعارا كثيرة، في مختلف الأغراض، ويعلق عنها ابن رشيق في أبيات قالها يتشوق إلى

أهله: "فلو أن أعرابيا تذكر نجدا فحنّ به إلى الوطن أو تشوق فيه إلى بعض السكن ما حسبته يزيد على ما أتى به هذا المولد الحضري المتأخر العصر"[1].

قال علي بن أبي الرجال:[2] أورد له ابن رشيق في عمدته هذه الأشعار؛ وقال: "ولو لم آت بهذا الباب إلا بما بنيته عليه من ذكر أشعار السيد الرئيس أبي الحسن (ابن أبي الرجال) أيده الله لكان ذلك فوق الرضا والكفاية.

فمن ذلك قوله[3]:

باكر الراح ودع عنك العدل ... واسع في الصحة من قبل العلل
واغتنم لذة يوم زائل ... فالمنايا ضاحكات بالأمل
ما ترى الساقي كشمس طلعت ... تحمل المريخ في برج الحمل
مائساً كالغصن في دعص نقاً ... فاتن المقلة زينت بالكحل

وقوله أيضاً يتغزل[4]:

مر بنا يهتز في مشيه ... مثل اهتزاز الغصن الرطب
فمقلتي ترتع في حسنه ... ومقلتاه أحرقت قلبي

ومن الموعظة الحسنة البالغة قوله[5]:

أمن الزمان زمانة العقل ... فاخش الإله وحل عن الجهل
واعلم بأنك في الحساب غداً ... تجزى بما قدمت من فعل

ومن تشكي أحوال الناس وقلة ثقتهم وإنصافهم قوله[6]:

أيا رب، إن الناس لا ينصفونني ... ولم يحسنوا قرضي على حسناتي
إذا ما رأوني في رخاء ترددوا ... إلي، وأعدائي لدى الأزمات
ومهما أكن في نعمة حزنوا لها ... ذوو أنفس في شدة جذلات
ثقاتي ما دامت صلاتي لديهم ... وإن عنهم أخرتها فعداتي
سأمنع قلبي أن يحن إليهم ... وأصرف عنهم قالياً لحظاتي
وألزم نفسي الصبر دأبا لعلني ... أعاين ما أملت قبل مماتي
ألا إنما الدنيا كفاف وصحة ... وأمن، ثلاث هن طيب حياتي

فلولا ثلاث هن من لذة الفتى ثم فسرهن فقال: فمنهن سبق العاذلات بشربة وكرى إذا نادى المضاف مجنباً وتقصير يوم الدجن والسبق والتقصير والكر كلها مذكرة، لكن أراد ما قدمت.

ومن أحسن الأشعار قوله[7]:

خليلي، إن لم تسعداني فأقصرا ... فليس يداوي بالعتاب المتيم
تريدان مني النسك في غير حينه ... وغصني ريان ورأسي أسحم

وقوله في قصيدة طويلة[1]:

غـــراء واضـــحة ينـــوس بقرطهـــا جيـــد حكـــى جيـــد الغـــزال الأعنـــق
صـــدت فـــأغرت بالســـجوم مـــدامعي والعـــين تـــذرف بالـــدموع الســـبق
تشـــكو البعـــاد إذا بعـــدت تصـــبراً وإن ارتجعـــت إلـــى الزيـــارة تفـــرق
ولقـــد يبيـــت أخـــو المـــودة لائمـــي فـــي حبهـــا لـــوم الشـــفيق المشـــفق
حتـــى إذا طلعـــت فأبصـــر شخصـــها أخـــزى جهالـــة لائمـــي المســـتحمق
كـــم قـــد قطعـــت بوصـــلها مـــن ليلـــة وبشـــرب صـــافية كلـــون الزئبـــق
يســـعى بهـــا كالبـــدر ليلـــة تمـــه ســـحار ألحـــاظ رخـــيم المنطـــق
آليـــت أتـــرك ذا وتلـــك وهـــذه حتـــى يفـــارقني ســـواد المفـــرق

فلله سلامة هذا الطبع واندفاعه، وقرب هذا اللفظ واتساعه، ولله رقة معانيه وإرهافها، وظهورها مع ذلك وانكشافها، ولطف مواقعها من القلوب، وسرعة تأثيرها في النفوس، وسيرد من شعره فيما بعد ما لاق بالمواضع التي يذكر فيها، إن شاء الله تعالى".

- **الحسن بن الربيب التاهرتي (340 - 420هـ = 951 - 1026م)[2]:** الحسن بن محمد التميمي التاهرتي، يعرف بابن الربيب: شاعر، أديب، نحوي، نسابة، أصله من تاهرت ونشأ في القيروان. قال ياقوت: كان خبيرا باللغة، شاعرا مقدما، قوي الكلام، يتكلف بعض التكلف، وكان عبد الكريم النهشلي يروي له ما لا يروى لأحد من الشعراء، وقد سئل عن أشعر أهل بلده؟ فقال: أنا، ثم "ابن الزبيب". توفي بالقيروان. له كتاب مشهور في "النسب".

- قال ابن الربيب: (نص رسالة كتبها ابن الربيب إلى أبي المغيرة عبد الوهاب بن حزم الأندلسي، جد الوزير أبي محمد علي بن حزم صاحب التصانيف المعروفة، ينتقد فيها حالة الأندلس الفكرية)[3].

"إني فكرت في بلدكم أهل الأندلس إذ كان قرارة كل فضل، ومقصد كل طرفة، ومورد كل تحفة، إن بارت تجارة أو صناعة فإليكم تجلب، وإن كسدت بضاعة فعندكم تنفق، مع كثرة علمائه، ووفور أدبائه، وجلالة ملوكه، ومحبتهم للعلم وأهله، ورفعهم من رفعه أدبه، وكذلك سيرتهم في رجال الحرب يقدمون من قدمته شجاعته، وعظمت في الحروب، نكايته؛ فشجع عندكم بذلك الجبان، وأقدم الهيبان، ونبه الخامل، وعلم الجاهل، ونطق العيي، وشعر البكي، واستنسر البغاث، وتنثعبن الحفاث، وتنافس الناس في العلوم. ثم هم مع ذلك في غاية التقصير ونهاية التفريط، من أجل أن علماء الأمصار دونوا فضائل أعيانهم وقلدوا الكتب مآثر أقطارهم، وأخبار الملوك والأمراء، والكتاب والوزراء، والقضاة والعلماء، فأبقوا لهم ذكراً في الغابرين، ولسان صدق في الآخرين؛ وعلماؤكم مع استظهارهم على العلوم، كل امرئ منهم قائم في ظله لا يبرح، وثابت على كعبه لا يتزحزح؛ يخاف إن صنف أن يعنف أو تخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق، لم يتعب نفساً أحد منهم في مفاخر بلده، ولم يستعمل نقساً في فضائل ملوكه، ولا بل قلماً بمناقب كتابه ووزراءه، ولا سود قرطاساً بمحاسن قضاته وعلمائه؛ على أنه لو أطلق ما عقل الإغفال من

لسانه، وبسط ما قبض الإهمال من بيانه، لوجد للقول مساغاً، ولم تضق عليه المسالك هنالك، ولكن هم كل أحد منهم أن يطلب شأو من تقدمه من رؤساء العلماء، ليحوز قصب السبق ويفوز بقدح ابن مقبل، ويأخذ بكظم دعبل، ويصير شجىً في حلق أبي العميثل: فإذا أدرك تلك البغية، وجاءته بعد المنية، دفن علمه معه، ومات ذكره، وانقطع خبره. ومن قدمنا ذكره من علماء الأمصار احتالوا لبقاء ذكرهم، فألفوا دواوين يبقى لهم ذكر يتجدد طول الأبد. فإن قلت: إنه كان ذلك من علمائكم، وألفوا كتباً لكنها لم تصل إلينا، فهذه دعوى لم يصحبها تحقيق، لأنه ليس بيننا وبينكم إلا روحة راكب، أو دلجة قارب، لو نفث ببلدكم مصدور، لأسمع ببلدنا من في القبور، فضلاً عمن في الدور والقصور، وتلقوا قوله بالقبول، كما تلقوا ديوان ابن عبد ربه منكم الذي سماه ب - "العقد". على أنه يلحقه فيه بعض اللوم، إذ لم يجعل فضائل بلده، واسطة عقده، ومناقب ملوكه يتيمة سلكه، لكنه أكثر وطول، وأخطأ المفصل، وأطال الهز بسيف غير مقصل، وقعد به ما قعد بأصحابه من ترك ما يعنيهم، وإغفال ما يهمهم: فأرشد أخاك - أرشدك الله - إن كان عندك في ذلك الجلية، وبيدك فصل القضية، إن شاء الله.

6- الأدب الجزائري خلال العهد الصنهاجي (خصائصه، تطوره، وأثره):

- ✓ ازدهر الأدب الجزائري في العصر الصنهاجي، خلال فترة حكم المعز بن باديس (406-454هـ)، على غرار الآداب والعلوم الأخرى، لأنه كان العصر الذهبي للدولة الصنهاجية.
- ✓ كانت القيروان هي المركز الرئيس بالنسبة للأدباء الجزائريين في العهد الصنهاجي، وكانت المنارة العلمية الأولى التي امتدّ شعاعها إلى هذه البقاع، ولذلك لم يكن غريبا أن نجد أبناء المغرب الأوسط والأقصى، يقصدون القيروان للتزود من العلوم والعارف، والمشاركة في الحياة الفكرية[1]
- ✓ نظم الأديب الجزائري في كل الأغراض الشعرية التي كانت معروفة آنذاك في المشرق والأندلس والمغرب، فوصف الخمرة والطبيعة وتغزّل مثل يعلى بن إبراهيم الأريسي، وعاتب وشكى ووعظ مثل ابن أبي الرجال، ومدح وهجا ورثى، وحنّ واشتاق مثل ابن رشيق..
- ✓ وفي مجال النثر كتب الرسائل الديوانية من أمثال علي بن أبي الرجال، وكتب في الرسائل الإخوانية والأدبية القاضي ابن الربيب التاهرتي، وكتب في القضايا النقدية عبد الكريم النهشلي، وابن رشيق.
- ✓ حمل الأدب الجزائري آنذاك قضايا عصره وتشربها، ومثاله: رثاء الأندلس لابن رشيق.
- ✓ ساعد العدل والأمن في ظل دولة الصنهاجيين على التأليف، فألف علي بن أبي الرجال "الفارع في أحكام النجوم"، وكتب ابن رشيق العمدة. ومما طوّر تآليفهم عناية الصنهاجيين بالخط العربي وتطويره،
- ✓ برز واشتهر في الدولة الصنهاجية شاعر الجزائر وناقدها العظيم ابن رشيق بقصائد ومقطوعات في المعز وابنه، وبكتاب العمدة.
- ✓ لم يقتصر دور الجزائريين على الأدب، بل أهّل ذلك بعضهم إلى الحياة السياسية، حين توظف بعضهم في الدواوين/ مثا ابن رشيق وأستاذه علي بن أبي الرجال.

- ✓ أحسب مديح هذا العصر قد أصبح "ضربا من الحيل والخداع يستغل فيه الشعراء والأدباء المداحون سلامةَ صدر الممدوحين أو حسنَ ظنهم، أو قلةَ فطنتهم، أو خوفهم من الهجاء، أو شدةَ بذلهم وكرمهم"[1].
- ✓ كان لكتاب العمدة منذ أُلِّفَ في عصرنا إلى يومنا هذا الأثر البالغ، والمكان القيِّم في الدراسات النقدية.
- ✓ لقد تغير موقف المادح والممدوح كلاهما من المدح، ولو تأملنا – على سبيل المثال- مدائح ابن رشيق في المعز وابنه تميم، لوجدناها تتنافى مع موقفه من المديح في العمدة، إذ خصص له بابا سماه: باب التكسب بالشعر والأنفة منه[2].
- ✓ نشط التصنيف والتدوين عند الجزائريين في ظل دولة الصنهاجيين، إلى درجة لم يجارهم فيها الأندلسيين، ولا أدلّ على ذلك رسالة ابن الربيب التاهرتي إلى عبد الوهاب بن حزم الأندلسي، معاتبا إياه وأهل الأندلس عن تقصيرهم في تسجيل مآثرهم وكتابتها.